

سينما

# فيلم يستعيد سؤال: هَت كُتب «المواطن كين»؟ «مانك» ديفيد فينشر: لوحة أخلاقية تعرّي هوليوود الثلاثينيات

لكلّ مخرج، كاتب، أو فنان عانى وتعذب في مسيرته الإبداعية، الحق في لحظة مجد نيتمة قبل أن يختفي. إذا كانت السينما هي الفن الذي يتردّ فيه الإحساس بالوقت، فإنّ كلّ مهووس فيها يحارب للوصول وإدراك الوعي الكامل بالتحولات الأخيرة التي، لمّ لا، هي أيضاً البداية. هذه اللحظة ليست وعياً بالآلام المرافق لولادة فيلم، هناك فارق بسيط بين النهاية في آخر الشريط، و«النهاية» النهائية، التي لا يشعر فيها إلاّ الفنان نفسه. «مانك» هو وصف مبهر وممتع ومنمّق لعذاب صنّاع السينما. إنه إعادة قراءة البنية السليمة في «الديمقراطيات»، «مانك» (2020) عمل كبير للمخرج الأمريكي ديفيد فينشر الذي سكب وقوداً على النار، وجلب المزيد من الخشب في زمن الجائحة التي تضرب العالم والسينما. وقبل كلّ هذا، «مانك» هو وصف دقيق لواحدة من أكثر الجدليات عتيقة في تاريخ السينما: من كتب «المواطن كين» (1941)؟ أورسون ويلز أو هيرمان جايكوب مانكيويز؟ الفيلم الذي كان البداية للولاء، والنهاية للأخير.

من كتب «المواطن كين»؟

لم يكن الظهور الأوّل للمخرج الشاب أورسون ويلز ظهوراً عادياً. كان بعقره الخراجية، مناسباً للمراجعات والخلافات والمناقشات. هو الذي بدأ في هوليوود ثم سقط عليها وأصبح مبهتاً فيها. أحد الخلافات التي تدور حول ويلز تتعلق بكتابة فيلم «المواطن كين» منذ إصدار الفيلم، نقوش ما إذا كان السيناريو كتبه هيرمان جايكوب مانكيويز، وما إذا كانت مساهمة

كولومبيا قبل عيد ميلاده التاسع عشر. واستحوذ على هوليوود. عندما وصل عام 1926، سرعان ما شقّ طريقه في صفوف شركات الإنتاج الكبيرة. أصبح رئيساً لقسم السيناريو، وانتقل في عصر الصوت ليصبح واحداً من أهمّ الكتاب في هوليوود. أدت غطرسة مانكيويز وإدمانه على الكحول والقمار، إلى طرده مرات عدة من استوديوهات هوليوود. ولكنّه كان يعود ويسعد بإهانة المديرين التنفيذيّين ويتحدّى أي شخص لأنه كان يعرف تماماً أنّه أدكي رجل في هوليوود، أعاد كتابة وتصحيح منّات الأفلام. وكان محبوباً من قبل أقرانه، الذين وجدوه مضحكاً

وصاحب كاريزما. كان يعيش حياة مضطربة، يهاجم الجميع كان بهلوانياً بحبّ المخاطرة وإثارة المشاكل، وخاصة المشاكل اللفظية. شرارته دائماً على وشك الإحراق في وجهه أولاً ولكنه لا يبالي. علاقاته مع اباطرة هوليوود أوصلته إلى ويليام راندولف هيرست، إمبراطور الصحافة في ذلك الوقت. تسلسل مانك في الثلاثينيات إلى الدائرة الصغيرة لهيرست بفضل زميله تشارلز بيدرسن، ابن أخ عنيقة هيرست الممثلة ماريون ديفيس، أصبح صديقاً للممثلة، تجادل معها القيل والقال ولترات عليها وانغلت شفثيه إلى الأبد



من فيلم «مانك»

وعصر. تعقيد العميق وكمال تكوينه يجعله تحفة سينمائية لا جدال فيها. سمح لأورسون ويلز بإنتاج الفيلم، وإخراجه، ولعب الدور الرئيسي، وكتابة السيناريو، واتخاذ قرار مستقل بشأن التفاصيل أمام الكاميرا وخلفها، كما بشأن النسخة النهائية، وكيف يجب أن تنقل إلى السينما. كان لويلز ظهور ونضوج تعبيريّ غير عادي في تاريخ السينما. كان يبلغ 26 عاماً فقط عندما قدم قوة العلاقة بين السلطة والإعلام، وأظهر استخدام تشارلز فوستر كين (أورسون ويلز) جريده لأغراض دعائية ولصالح حملات ومصالح شخصية وكأداة لتدمير الأعداء. يبدأ الفيلم مع موت كين في قصره الهائل «زاندو» وسط جائنث شاسعة، حيث أمضى سنواته الأخيرة وحيداً في قصره محاطاً بأعمال فنية والتماثيل. كان كين كلّ مقومات القوة: المال، الشهرة، السلطة والإعلام، وعلى بعد لحظات من ملاقة الموت، ينطق مع آخر أنفاسه كلمة «ورزيد» ومن هنا يبدأ الفيلم في «فلاش باك» لحياة

أورسون ويلز وويليام راندولف هيرست مانكيويز

في سن الخامسة والخمسين. كان مانكيويز دائم الحضور في حفلات الدائرة الاجتماعية الحصرية لعطب الصحافة. عرف كل شيء، عرف تجاوزات الرجل الخطيرة الخاصة والعامّة في الصحافة وفي هوليوود، حتى طرده هيرست. أطلق مانكيويز لسانه الحاد وقلمه للانتقام، نقياً كل شيء ليكشف عار هيرست في سيناريو فيلم «المواطن كين».

«مانك» كلاسكيات 2020

في ربيع عام 1940، وبعد حادث سيارة كسر هيرمان جايكوب مانكيويز «مانك» (غاري أولدمان) ساقه، تم نقل إلى مزرعة في صحراء

موهافي لكتابة سيناريو فيلم «المواطن كين» في غضون سنتين يوماً. تحت عناية ممزّضة المانية وبمساعدة سكريبترة بريطانية تدعى رينا الكسندر (بيلي كولنز)، يكتب مانك ويتذكّر محطات من حياته: علاقته بشقيقة جوزيف مانكيويز (توم بيلفري)، علاقته بلويس بي. ماير (أرليس هوارد) مؤسس شركة الإنتاج «مترو غولدوين ماير»، والمنتج إيفريغ ثالبريغ (فيردناند كينغسلي)، عنيقة هيرست الممثلة ماريون ديفيس، صديقاً للممثلة، هيرست (تشارلز ناسن) وعلاقة الصداقة مع الممثلة ماريون ديفيس (أماندا سيفريد).

باللونين الأبيض والأسود الضبابي، مع صوت أحادي وسرد مليء بالفلاش باك، كما فعل ويلز نفسه واستناداً إلى سيناريو كتبه الصحافي والسيناريست جاك فينشر (والد المخرج ديفيد فينشر) قبل ثلاثين عاماً. ياخذنا «مانك» إلى المخرج الأميركي ديفيد فينشر، في رحلة ممتنة على هيكل سردّي يتخلل ذهاباً وإياباً بين الحاضر والماضي شريط مهذب وتمين، وفي الوقت نفسه خادع، إلى درجة أنّ قصة كتابة سيناريو فيلم «المواطن كين» لا يمكن اعتبارها أكثر من عملية احتيال على المشاهد أو أداة لهيئه بسيطة استخدمها فينشر لمعالجة الموضوع الحقيقي للفيلم: صورة صارخة تدمّر الصورة الخيالية لهوليوود الثلاثينيات. يتحوّل الفيلم من خالها إلى فيلم «نوار» مقدّماً أفضل سلاح له: النظرة الساخرة والواضحة التي يرى فيها مانكيويز هوليوود. مانك كان يسارياً، ساخراً جداً لا يؤمن

بالثورات. يفضّل الشرب، والتجول في حفلات وقصور، والسخرية لفظياً من ماسي زمام الأمور في هوليوود. مثلما أنّ «المواطن كين» جعل السينما تدخل مرحلة البلوغ، والتفكّك من اللغة الكلاسيكية، فينشر هنا يعيد صياغة السينما ويُبعدها عن حداثةها. بفخر الرموز السردية للسينما الكلاسيكية ويعيد الظلال من جديد. يعيد نسج القصة نفسها من وجهة نظر معاكسة، أو أشدّ ظلاماً. إذا كانت قصة كين هي قصة أقوى الرجال وغرستهم في مواجهة القوة الإعلامية المسيطرة التي صنّعتها بنفسه، فإنّ قصة مانك هي قصة أضعف البشر الذين يحاربون هذه القوة التي تحكم عليه بالاختفاء. فينشر لا يحرم نفسه أي شيء. وفي هذه المعالجة الخلاقية، فإنّ النقد القاسي نفسه الذي وجهه ويلز في عام 1941 إلى وسائل الإعلام بشكل خاص والراسمالية بشكل عام، يوجهها فينشر إلى ما يحدث الآن. ولقدرة السينما على تعديل الواقع نفسه، يقدّم فينشر شيئاً أكثر من مجرد تعليق اجتماعي. فيلم كاجحية، يعيد بناء القلوع المسكورة لتلك المرأة الغربية التي كانت هوليوود تقف خلفها لفترة طويلة.

إذا كان فيلم ويلز انتقاداً شديداً لهيرست وعالم امتياز وسائل الإعلام والسيطرة التي تمارسها، فيفيلم فينشر عن مانكيويز ينتقد بصوت أعلى. أمضى فينشر نصف الفيلم تقريباً ينتقد الجانب المظلم والراسمالي من هوليوود، وبخاصة عندما أوضح كيف جعلت وسائل إعلام هيرست الكاتب الاشتراكي

إبتانوس سنكلير يخسر انتخابات حاكم ولاية كاليفورنيا في عام 1934 من خلال البات مشكوك فيها أخلاقياً يمكن مقارنتها بما نسّميه اليوم الأخبار الزائفة.

يفجّر فينشر الرموز السردية للسينما الكلاسيكية ويعيد الظلال من جديد

إلى الأبد. إنّه انعكاس للسينما التي تتطلب تعاوناً بين العديد من الأطراف ولكن يجب أيضاً أن تتعامل مع مرعوب كل المعنيتين. على الرغم من أنه يُروى بطريقة يسهل الوصول إليها إلى حدّ ما، إلاّ أنّ المشاهد الذي يتمتع بخلفية معرفية ليس

فقط بتاريخ هوليوود، ولكن أيضاً بانمط التحميل السينمائي في ذلك الوقت، سوف يستمتع أكثر. في النصف ساعة الأولى وحدها، يحتوي الفيلم على ملصقات وعبارات وجمل قصيرة في الحوار تشير إلى ما لا يقل عن عشرة أفلام من بدايات الأفلام الناطقة. يخاطب ديفيد فينشر مجنّي السينما بشكل أساسي، صانعاً تحفة لنسبغيلين. «مانك» هو لوحة أخلاقية لهوليوود الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات، اللبسة العاطفية والحذّين إلى الماضي يناسبان فينشر وغاري أولدمان تماماً. الأخير أظهر شخصية مانك بطريقة أصيلة، مجسداً شخصاً غامضاً لا يظهر كثيراً للعامّة، حتى جائزة الأوسكار لم يتسلمها في حفل لأنه لم يذهب. أولدمان قدم مانك بحزّنه وغضبه وسخريته ويدوافعه الإنسانية. أداء حاد مثل الحوارات التي تجري بين



دخان السجائر وكؤوس الويسكي. أولدمان غالباً في حالة سكر واستثنائي دافعاً، ولكنه ترك شيئاً غامضاً وخفياً عن الشخصية، بحيث تركنا نتوق لمعرفة المزيد عنه. فطنة سينمائية تحضّن الروعة اللامعة والبراعة المتميزة للحوارات. فيلم بقدر كُتاب السيناريو، هؤلاء الفنّانين الذين تسقطهم صناعة السينما. ولادة جديدة لمقال بولين كابل. وثيقة تاريخية لا تززع باي شكل من الأشكال أهمية أورسون ويلز في تاريخ السينما. هدية قدمها لنا ديفيد فينشر في موسم الأعياد، والأهم هدية لموسم الجوائز باستحقاق. في النهاية، سنّ الفيلم مكشوف، والنهاية تعشق شيئاً واحداً أكثر من أي شيء آخر: أفلام عن صناعة السينما.

Mank على تفلريكس



يظهر الفيلم تأثير الراسمالية على كل شيء

والخيراً سينما بكل ما في الكلمة من معنى، مثل اللحم. أحلام القوة والطموح، والعودة إلى ماض بعيد مستحيل، حيث كانت السعادة ممكنة بفضل زلاجة خشبية فقط. لم يظهر ويلز أبداً كمنجّد في

الاشتراكية، أراد أن يكون مواطناً مثل أي شخص آخر. يظهر الفيلم تأثير الراسمالية على كل شيء. قوة كين دفعته إلى السياسة وبناء إمبراطوريته بلا ضمير. خان فُتله العليا وعزل نفسه عن أصدقائه. كان شخصاً يحتاج إلى الحب، لكنه لم يستطع منح الحب. «المواطن كين» ليس مجرد تاريخ سينمائي. السينما في أميركا قبل 1941 ليست كما بعدها. لا يمكن تجاهل قوة الصور العديدة في الفيلم. قوة لا تقل على من الستين. بل اكتسب الصحافة، البحث، البراءة، النفاق السياسي الأميركي، جنغ البنوك، واستخدام الأموال في النظام الراسمالي الشره... وكل هذا من دون فقدان البعد الإنساني للأصدقاء والحيانة، والحب، وكفاح رجل واحد لتغيير العالم وكيف هرمته الحياة بلا رحمة. وما يبدو للوهلة الأولى كأنه محاكاة ساخرة لوجش صحافي يتحول لآلة خشيبة فقط. أخلاقية، ثم ميلودراما ساحقة،

## عودة إلى أورسون ويلز و«المواطن كين»: عن السلطة والإعلام وانهيار المثلك

هيرست، قال فيها: «كل شيء هادئ، لا مشاكل، لن تكون هناك حرب، أتمنى العودة». لكن جاءه الرد: «من فضلك ابق. قم بتجهيز الصور، وساقوم أنا بتجهيز الحرب». مثل هيرست، كان طموح كين الصحافي يعتمد فقط على كمية الصحف التي يمكنه بيعها. ذهب كلا الرجلين إلى الاتّاعات واختلاق القصص المثيرة للنجاح أكثر من نقل الأخبار الواقعية. أدت نتيجة هذه الممارسات إلى خلق نوع جديد من الصحافة يسمى «الصحافة الصفراء». قوة هيرست انعكست على الفيلم. لم يكن التصوير مهّمة سهلة. حاول توقيف التصوير ونجح بالفعل أكثر من مرة، ثم تأخّل العرض الأول بسبب ضغوط من قطب الصحافة القومي الذي كان يهاجم الفيلم في وسائل الإعلام ويحاول منع توزيع الفيلم. أتهم ويلز بأنه شيوعي. وعند عرض الفيلم، لم ينجح تجارياً.

«المواطن كين» هو كل شيء، هو جوهر الحياة، وتقلبات الستين. صنع الشاب كين اسماً لنفسه عندما تولى إدارة زلاجة متعجّرة. اتختم فرصة لإحداث فرق، بدافع من المثلك